رات ثَعْلَبٍ

لم:
كامل كيلانى

أساطير الحيوان

أَساطِيرُ إِفْرِيقِيَّة
مُغامَرات ثَعلب
بقلم
كامل كيلانى
دار مكتبة الأطفال . القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
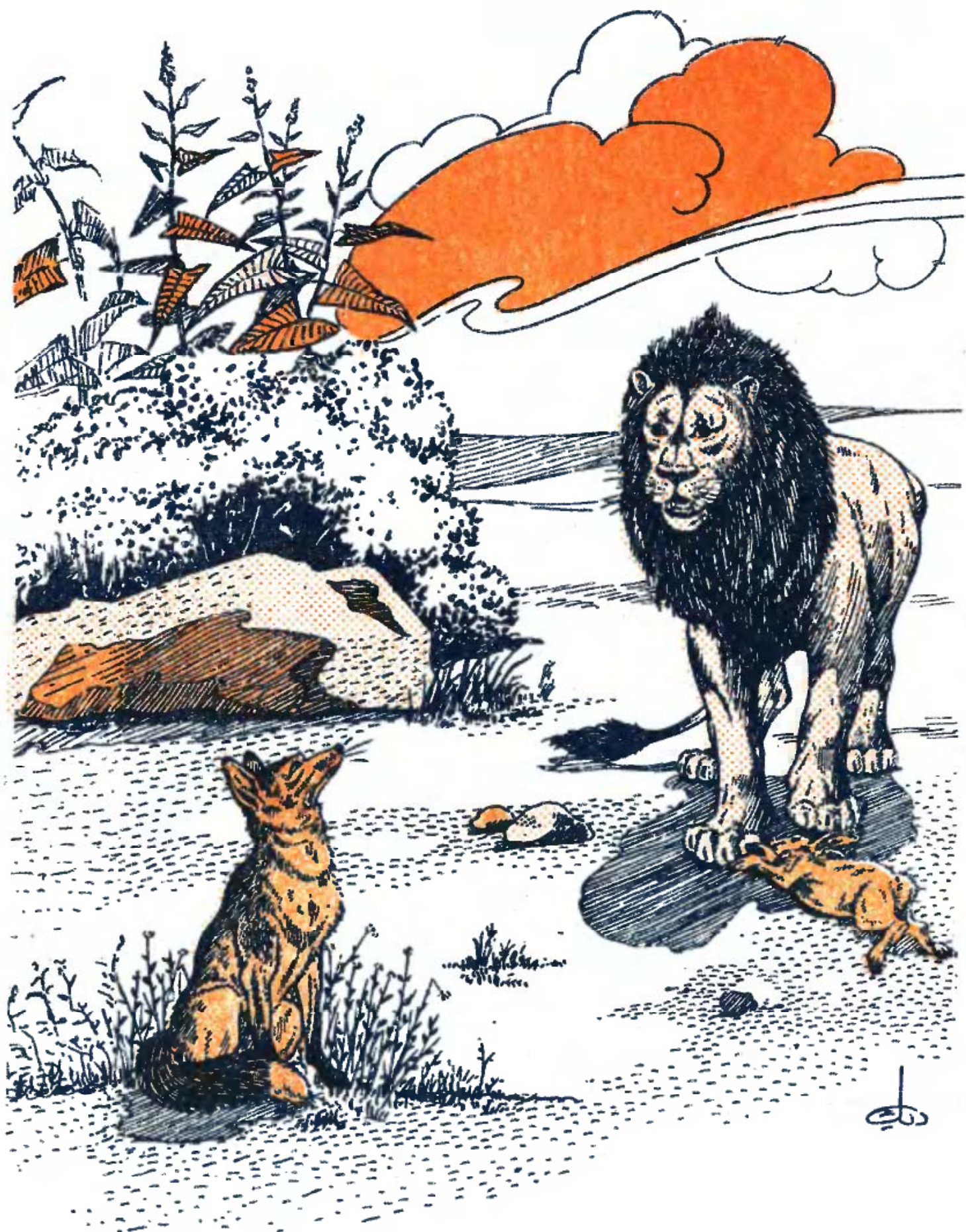
الأَسَدُ قابِضٌ عَلَى فَرِيسَتِهِ !
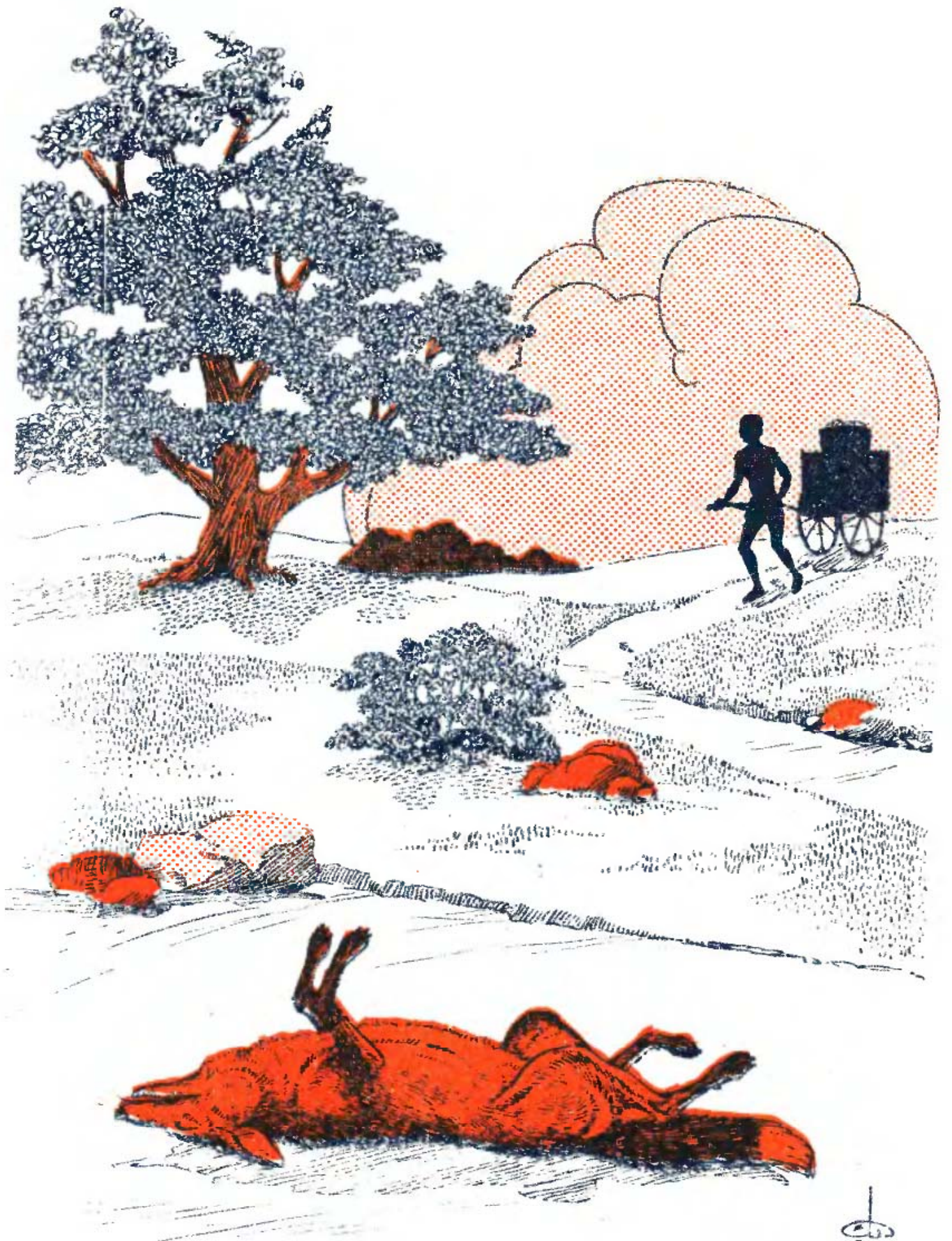
الثعلبُ يتظاهرُ بأنّهُ ميّتٌ .

السَّائِقُ يُطَوِّحُ بِالثَّعْلَبِ فِي الْفَضَاءِ .

الثَّعْلَبُ والضَّبُعُ يَتَنَازَعانِ السَّمَكَ

٨ — التَّقْلِيدُ السَّيِّئُ

أَسْرَعَ الثَّعْلَبُ يُجِيبُ صـــاحِبَتَهُ « أُمَّ عامِرٍ » :

« نَعَمْ يا « أُمَّ عامِرٍ » . إِسْتَلْقَيْتُ فِي الطَّرِيقِ ، مُتَظاهِرًا بِالْمَوْتِ . طَمِعَ سائِقُ مَرْكَبَةِ السَّمَكِ فِي جِلْدِي .

حَمَلَنِي إِلَى الْمَرْكَبَةِ . أَكَلْتُ مِنَ السَّمَكِ حَتَّى شَبِعْتُ ، وَرَمَيْتُ مِنْهُ فِي الطَّرِيقِ ما شِئْتُ . . . قَفَزْتُ مِنَ الْمَرْكَبَةِ بَعْـدَ ذٰلِكَ . لَمْ يُحِسَّ السَّائِقُ بِما فَعَلْتُ . »

هَزَّتِ الضَّبُعُ رَأْسَها . عَزَمَتْ عَلَى أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ بَعْـــدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ ، سَمِعَتْ صَوْتَ عَجَلاتٍ فِي الطَّرِيقِ عَلَى بُعْدٍ . لَمَحَتْ عَيْنُها مَرْكَبَةً تَقْتَرِبُ ، مُحَمَّلَةً بِالسَّمَكِ .

قالَ الثَّعْلَبُ لِلضَّبُعِ : « هاكِ مَرْكَبَةَ سَمَكٍ لَمْ تَمُرَّ مِثْلُها مِنْ قَبْلُ . سـارِعِي إِلَى الْعَمَلِ بِنَصِيحَتِي . أَنْفِذِي ما أَشَرْتُ عَلَيْكِ بِهِ . إِسْتَلْقِي بِجَسَدِكِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَتَظاهَرِي بِالْمَوْتِ ، حَتَّى يَحْمِلَكِ السَّائِقُ إِلَى الْمَرْكَبَةِ . »

٩ — عاقِبَةُ الْغَفلَةِ

لَمْ تَعرِفِ الضَّبُعُ ما خَبَّأَهُ لَها الْقَدَرُ مِنْ وَيلاتٍ وَنَكَباتٍ ، حِينَ تَفْعَلُ ما نَصَحَ بِهِ « أَبُو أَيُّوبَ » .

اِنْخَدَعَتْ « أُمُّ عامِرٍ » بِقَولِ الثَّعْلَبِ الماكِرِ الَّذي لَمْ يَكُنْ مُخْلِصًا فِي نُصْحِهِ .

اِسْتَلْقَتْ فِي طَرِيقِ الْمَرْكَبَةِ الْقادِمَةِ .

حَرَصَتْ عَلَى أَنْ تُغْمِضَ عَيْنَيْها ، وَلا تَتَحَرَّكَ .

نَسِيَتْ أَنَّ جِلْدَها لَيْسَ كَجِلْدِ الثَّعْلَبِ ، يَلْفِتُ الأَنْظارَ ، وَيَحْرِصُ النَّاسُ عَلَى الْحُصُولِ عَلَيْهِ .

نَسِيَتْ أَنَّ فِرَاءَها لَيْسَتْ ناعِمَةَ الْمَلْمَسِ ، حَرِيرِيَّةَ الشَّعْرِ ، كَفِراءِ الثَّعالِبِ الَّتِي يَرْغَبُ فِيها النَّاسُ .

قَدِمَ سائِقُ الْمَرْكَبَةِ . رَأَى الضَّبُعَ فِي طَرِيقِهِ ، مَطْرُوحَةً عَلَى الأَرْضِ . رَكَلَها بِقَدَمِهِ فِي احْتِقارٍ وَغَيْظٍ .

قالَ فِي اشْمِئْزازٍ : « يا لَكِ مِنْ قَبِيحَةِ الْمَنْظَرِ ! »

٣ — الثَّعْلَبُ يَتَعَلَّمُ مِنَ التَّجْرِبَةِ

اِبْتَهَجَ الْأَسَدُ بِهٰذا الْمَدْحِ الظَّاهِرِ ، والثَّناءِ الزَّائِفِ .
لَمْ يُدْرِكْ أَنَّ الثَّعْلَبَ لَمْ يَصْدُقْ فِي الْمَدْحِ والثَّناءِ ،
بَلْ أَرادَ السُّخْرِيَةَ والِاسْتِهْزاءَ . لَمْ يَفْهَمْ « أَبُو فِراسٍ »
أَنَّ « أَبا أَيُّوبَ » عَرَفَ الْحَقِيقَةَ ، وعَلَّمَتْهُ التَّجْرِبَةُ .

الثَّعْلَبُ عَرَفَ أَنَّ الْأَسَدَ يَتَّخِذُ مِنْ قُوَّتِهِ أَداةً لِلِاسْتِغْلالِ .
الثَّعْلَبُ تَعَلَّمَ أَنَّ الْأَسَدَ يُصادِقُهُ وَيُحالِفُهُ ،
لِمَصْلَحَتِهِ وَحْدَهُ ، لا لِمَصْلَحَتِهِما الْمُشْتَرَكَةِ .
أَيْقَنَ الثَّعْلَبُ أَنَّهُ إِذا ظَلَّ يُحالِفُ الْأَسَدَ ، فَسَيَبْقَى
الْأَسَدُ يَنْعَمُ بِالْأَطايِبِ ، وَيَقْنَعُ هُوَ بِالْفُتاتِ !..

كَتَمَ الثَّعْلَبُ أَلَمَهُ وَغَيْظَهُ ، وَأَقْسَمَ أَلَّا يَرْضَى بِهٰذِهِ
الْقِسْمَةِ الظَّالِمَةِ ! لَنْ يُحالِفَ الْأَسَدَ ، أَوْ يُصاحِبَهُ ! .

اِعْتَزَمَ الثَّعْلَبُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الصَّيْدِ مُنْفَرِدًا ،
حَتَّى يَخْلُصَ مِنْ ظُلْمِ الْأَسَدِ الْباطِشِ الْمُسْتَغِلِّ .

أَساطِيرُ إِفْرِيقِيَّة

بقلم كامل كيلانى

« كان اهتمامُ «كامل كيلانى» بالأساطيرِ بالِغَ الغايةِ ،
إذِ اعْتبر العالَمَ الأُسطوريَّ موْرِدًا عذْبًا لاجْتذاب عقليَّة
النَّاشىء الغَضَّة ، وإمْدادِها بما يمْلؤُها أُنْسا وانْشِراحًا .
والجديدُ فيما اتَّجه إليه «كامل كيلانى» : أنه لم يقتصِرْ
على الأساطيرِ الشرقيةِ فى آدابِ الهندِ والفُرْسِ وغيرها..
ولم يقتصِرْ على الأساطيرِ الغربيةِ فى اللُّغاتِ القديمة أو الحديثة ،
ولم يكْتَفِ كذلك بأن يَمْتاحَ من الأساطيرِ الغربيَةِ ما يَمْتاحُ ،
بل إنه شقَّ أفُقًا جديدًا ليُصِيبَ مَرامًا بعيدا ،
إذ توغَّل فى « إفريقيَّةَ » كما يتوغَّلُ الرَّحَّالةُ ؛
ولكن توغُّله كان ليتصيَّدَ الأفكارَ والصُّوَرَ
التى تحفِلُ بها الأساطيرُ الإفريقيَّة .
ولا شكَّ أن صنيعَه هذا يُعْتَبرُ مَسْلكًا جديدا
لم يسبِقْه إليه سابِقٌ فى اللغة العربيةِ لعالَمِ الأطفال ،
وفى هذه المجموعةِ نماذِجُ من تِلْك الأساطيرِ » .

محمد شوقى أمين

عضو مجمع اللغة العربية
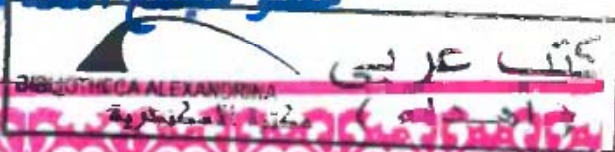
اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

مقدمة

أَيُّها النَّاشِئُ العَزِيزُ

لَنْ ترَى فِي هٰـذِهِ الْأُسْطُورَةِ وَما يَلِيها مِنَ الْأَساطِيرِ الْإِفرِيقِيَّةِ إِلَّا أُسْطُورَةً مُعْجِبَةً تُسَلِّيكَ وَتُثَقِّفُكَ ، كَما رَأَيْتَ فِي أَساطِيرِ الْحَيَوانِ .

وَقَدْ أَخَذْتُ نَفْسِي بِتَحْبِيبِ عِلْمِ الْجُغْرافِيَةِ إِلَى نَفْسِكَ ، بَعْدَ أَنْ وُفِّقْتُ فِي تَحْبِيبِ الْقِراءَةِ إِلَيْكَ .. وَرَأَيْتُ أَنْ أَمْزِجَ الْحَقائِقَ الْجُغْرافِيَّةَ بِجَمْهَرَةٍ مِنَ الْأَساطِيرِ الْبَدِيعَةِ ، لِتَجْمَعَ - إِلَى تَعَرُّفِ الْبُلْدانِ - تَعَرُّفَ نُفُوسِ ساكِنِيها ، وَتَرَى مِنْ أَلْوانِ الْخَيالِ الْمُبْهِجَةِ ما يُسَهِّلُ عَلَيْكَ الدَّرْسَ وَالتَّحْصِيلَ .

وَلَسْتُ أَرَى أَبْلَغَ مِنَ الْأَساطِيرِ فِي الدَّلالَةِ عَلَى أَخْلاقِ الشُّعُوبِ ، وَمَدَى تَفْكِيرِهِمْ وَإِدْراكِهِمْ لِلْحَياةِ .

وَلَعَلَّ هٰذِهِ الْقِصَصَ تَحْفِزُكَ إِلَى الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ ، بَعْدَ أَنْ يَصِيرَ الدَّرْسُ لَكَ عادَةً ، وَيُصْبِحَ التَّحْصِيلُ عِنْدَكَ مَلَكَةً .

وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي أَنَّها مُنْتَهِيَةٌ بِكَ إِلَى غايَتِها الْحَمِيدَةِ ، حَيْثُ تَكْشِفُ لِعَيْنِكَ آفاقًا جَدِيدَةً مِنَ الْمَعارِفِ وَالْأَخْيِلَةِ ، وَتُبَصِّرُكَ بِأَحْوالِ الْأُمَمِ وَطَبائِعِ الشُّعُوبِ ؟

كامل كيلاني

١ ـــ مُحالَفَةٌ بَيْنَ الْأَسَدِ والثَّعْلَبِ

فِي غابَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْبِلادِ الْآهِلَةِ بِالسُّكَّانِ ، كانَتْ أَجْناسُ الْحَيَوانِ سارِبَةً ، كُلٌّ مِنْها يَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ .

ما مِنْ حَيَوانٍ فِي الْغابَةِ ـ وَإِنْ كانَ ضَخْمَ الْجِسْمِ ، مَهِيبَ الشَّكْلِ ـ إِلَّا وَهُوَ أَضْعَفُ مِنْ « أَبِي فِراسٍ » ، وَأَهْوَنُ شَأْنًا . فَهُوَ حَيَوانٌ قَوِيٌّ ، لا يَغْلِبُهُ غالِبٌ .

« أَبُو فِراسٍ » مَلِكُ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ ، كانَ مَرْهُوبَ الْجانِبِ ، مَخُوفَ الْبَأْسِ . « أَبُو فِراسٍ » كانَ أَسَدًا ، لا تُرَدُّ لَهُ كَلِمَةٌ ، وَلا يُعْصَى لَهُ أَمْرٌ .

« أَبُو أَيُّوبَ » كانَ مِنْ حَيَوانِ الْغابَةِ ، ثَعْلَبٌ سَرِيعُ الْجَرْيِ والنَّطِّ ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ـ بَيْنَ الْوُحُوشِ ـ فِي الْفِطْنَةِ والذَّكاءِ ، والْمَكْرِ والدَّهاءِ .

« أَبُو فِراسٍ » : الْأَسَدُ وَ « أَبُو أَيُّوبَ » : الثَّعْلَبُ ، كانا يَصْطَحِبانِ فِي الْغَدَواتِ والرَّوْحاتِ ، خِلالَ الْغابَةِ .

« أَبُو فِراسٍ » كانَ يُدْنِي « أَبا أَيُّوبَ » مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَيُؤْثِرُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ حَيَوانِ الْغابَةِ .

الْأَسَدُ اتَّخَذَ مِنَ الثَّعْلَبِ سَمِيرًا أَنِيسًا ، وَمُسْتَشارًا أَمِينًا .

« أَبُو أَيُّوبَ » : الثَّعْلَبُ ، كانَ بارِعًا فِي الصَّيْدِ ، لِخِفَّةِ حَرَكَتِهِ ، وَبَراعَةِ حِيلَتِهِ . الْمَرانَةُ أَكْسَبَتْ « أَبا أَيُّوبَ » قُدْرَةً نادِرَةً عَلَى اصْطِيادِ الْحَيَوانِ .

كانَ يَتَفَنَّنُ فِي ضُرُوبِ الْحِيَلِ ، لِكَيْ يُوقِعَ فَرِيسَتَهُ .

الْأَسَدُ « أَبُو فِراسٍ » مَلِكُ الْوُحُوشِ : كانَ يَفُوقُ الثَّعْلَبَ « أَبا أَيُّوبَ » فِي قُوَّتِهِ وَبَطْشِهِ .

الثَّعْلَبُ « أَبُو أَيُّوبَ » كانَ يَفُوقُ الْأَسَدَ فِي ذَكائِهِ وَمَكْرِهِ . مَتَى لاحَتْ فَرِيسَةٌ مِنْ بَعِيدٍ ، لَمَحَها ، وأَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي مُطارَدَتِها ، حَتَّى يَلْحَقَ بِها .

الْأَسَدُ حالَفَ الثَّعْلَبَ ، وَحَرَصَ عَلَى صُحْبَتِهِ ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْوُدَّ ؛ لِيَسْتَغِلَّ مَزاياهُ ، وَيَسْتَخْدِمَهُ لِمَنْفَعَتِهِ .

٢ — القِسْمَةُ الظَّالِمَةُ

خَرَجَ الثَّعْلَبُ « أَبُو أَيُّوبَ » يَوْمًا لِلصَّيْدِ ، فَظَفِرَ بِفَرِيسَتِهِ ، وَفَرِحَ بِها كُلَّ الْفَرَحِ .

أَسْرَعَ الأَسَدُ «أَبُو فِراسٍ» إِلَيْهِ ، يَبْتَسِمُ وَيَتَوَدَّدُ ، وَسَأَلَهُ : « ماذا أَصَبْتَ يا « أَبا أَيُّوبَ » ؟ »

أَجابَهُ الثَّعْلَبُ : « هٰذا ما أَصَبْتُهُ . أَلا تَرَى يا عَمِّى « أَبا فِراسٍ » ؟ لَقَدِ اصْطَدْتُ غَزالًا . »

نَظَرَ الأَسَدُ إِلَى الثَّعْلَبِ بِعَيْنٍ يَبِينُ فِيها الْغَدْرُ ، وَقالَ لَهُ بِصَوْتِهِ الْمُمْتَلِىءِ الْخَشِنِ : « لِمَنْ هٰذا الصَّيْدُ يا تُرَى ؟ »

فَطِنَ الثَّعْلَبُ إِلَى أَنَّ الأَسَدَ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ هُوَ بِالْفَرِيسَةِ ، لِيَنْعَمَ بِأَكْلِها وَحْدَهُ .

خَشِيَ الثَّعْلَبُ بَأْسَ الأَسَدِ . أَجابَهُ بِقَوْلِهِ ، فِي تَمَلُّقٍ : « هٰذا الصَّيْدُ كُلُّهُ لَكَ يا عَمِّى . لَكَ وَحْدَكَ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ سِواكَ . وَهَلْ تَظُنُّ أَنْ يُشارِكَكَ فِيهِ أَحَدٌ ؟ ! »

ظَهَرَتِ الْبَشاشَةُ وَالطَّلاقَةُ عَلَى وَجْهِ الْأَسَدِ «أَبِي فِراسٍ» ، وَقالَ لِصاحِبِهِ الثَّعْلَبِ «أَبِي أَيُّوبَ» : «بارَكَ اللهُ فِيكَ ، يا ابْنَ أَخِي . أَنْتَ ذَكِيٌّ فَطِينٌ ، وَصاحِبٌ أَمِينٌ !»

أَقْبَلَ الْأَسَدُ عَلَى الْفَرِيسَةِ . قَبَضَ عَلَى الْغَزالِ بِأَظْفارِهِ . أَعْمَلَ فِيهِ أَنْيابَهُ يَلْتَهِمُهُ . لَمْ يُبْقِ مِنْهُ إِلَّا فُضالَةً قَلِيلَةً ، لا تُسْمِنُ وَلا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ .

رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الثَّعْلَبِ ، وَقالَ لَهُ فِي عَظَمَةٍ وَكِبْرِياءَ :

«لَمْ أَنْسَ حَقَّكَ فِي الْفَرِيسَةِ الَّتِي اصْطَدْتَها !»

قالَ الثَّعْلَبُ : «لا حَقَّ لِي فِي شَيْءٍ مِنَ الْفَرِيسَةِ ! وَلٰكِنْ شُكْرًا لَكَ يا عَمِّي ، عَلَى ما تَفَضَّلْتَ وَأَعْطَيْتَ .»

قالَ الْأَسَدُ : «لا أَظُنُّنِي غَبَنْتُكَ أَوْ جُرْتُ عَلَيْكَ ، فَأَنْتَ شَرِيكِي وَحَلِيفِي ، وَلِكُلٍّ مِنَّا حَقٌّ مَعْلُومٌ .»

قالَ الثَّعْلَبُ : «أَنْتَ حَلِيفٌ شَرِيفٌ ، لا تَظْلِمُ وَلا تَجُورُ . إِنَّكَ عادِلٌ كَرِيمٌ . إِنَّكَ أَسَدٌ عَظِيمٌ !»

٤ — مُحاوَلَةٌ لَمْ تَنْجَحْ

خَرَجَ الثَّعْلَبُ «أَبُو أَيُّوبَ» صَباحَ يَوْمٍ ، يَطْلُبُ صَيْدًا .

خَشِيَ أَنْ يُصادِفَهُ الْأَسَدُ فِي طَرِيقِهِ ، فَيُلازِمَهُ ، وَيَحْرِمَهُ مَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ فِي يَوْمِهِ . . ظَلَّ يَعْدُو مُسْرِعًا ، حَتَّى بَلَغَ أَطْرافَ الْغابَةِ ، وَأَصْبَحَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ الْعامِرَةِ بِالنَّاسِ .

وَقَفَ الثَّعْلَبُ يَتَلَفَّتُ : يَنْتَظِرُ الْفُرْصَـــةَ السَّانِحَةَ ، لِيَكْسِبَ قُوتَهُ . رَأَى ـ عَنْ بُعْدٍ ـ مَرْكَبَةً مَمْلُوءَةً بِالسَّمَكِ .

كانَتِ الْمَرْكَبَةُ بَطِيئَةَ السَّيْرِ .. شَمَّ الثَّعْلَبُ رائِحَةَ السَّمَكِ ، فاشْتَهاهُ ، وَكادَ عَقْلُهُ يَطِيرُ !.. كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى أَنْ يَظْفَرَ بِقَدْرٍ مِنَ السَّـمَكِ ، يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُ ؟

اِنْتَظَرَ حَتَّى دَنَتِ الْمَرْكَبَةُ مِنْهُ ، وَحاوَلَ أَنْ يَنُطَّ فَوْقَها .

كانَتِ الْمَرْكَبَةُ عالِيَةً : لَمْ يَسْتَطِعِ الثَّعْلَبُ أَنْ يَبْلُغَ غَرَضَهُ .

سارَتِ الْمَرْكَبَةُ فِي طَرِيقِها .. وَقَفَ « أَبُو أَيُّوبَ » حَزِينًا مَهْمُومًا ، يَتَحَسَّرُ عَلَى الْفُرْصَةِ الَّتِي فاتَتْهُ .

٥ — الْحِيلَةُ الْمُوَفَّقَةُ

بَعْدَ قَلِيلٍ ، أَبْصَرَ الثَّعْلَبُ مَرْكَبَةً أُخْرَى قادِمَةً ، أَعْلَى مِنَ الْمَرْكَبَةِ الْأُولَى ، وَأَكْثَرَ سَمَكًا مِنْها .

فَهِمَ أَنَّهُ إِنْ حاوَلَ النَّطَّ فَوْقَها ؛ فَسَتَخِيبُ مُحاوَلَتُهُ ، كَما حَدَثَ فِي الْمَرْكَبَةِ السَّابِقَةِ .

لٰكِنَّهُ أَصَرَّ عَلَى أَلَّا تَفُوتَهُ هٰذِهِ الْفُرْصَةُ الثَّانِيَةُ .

فَكَّرَ فِي حِيلَةٍ ناجِحَةٍ ، يَصِلُ بِها إِلَى مَقْصُودِهِ .

اِسْتَلْقَى الثَّعْلَبُ فِي طَرِيقِ الْمَرْكَبَةِ .

تَظاهَرَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ ، لَا حَرَاكَ بِهِ ، وَلا رُوحَ فِيهِ ! ...

أَبْصَرَهُ السَّائِقُ ، وَهُوَ مُسْتَلْقٍ فِي الطَّرِيقِ ، لا يَتَحَرَّكُ ، عَلَيْهِ سِيماءُ الْمَوْتِ ، فَجَعَلَ يُطِيلُ النَّظَرَ فِيهِ .

قالَ السَّائِقُ لِنَفْسِهِ : « ما أَجْمَلَ جِلْدَ هٰذا الثَّعْلَبِ !

لِماذَا لا أَحْمِلُهُ مَعِي ؟ إِنَّهُ مَيِّتٌ ، لا أَخْشَى أَذاهُ !

لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ جِلْدِهِ ، مِلْحَفَةً تَضَعُها ابْنَتِي عَلَى كَتِفَيْها . »

قَبَضَ سائِقُ الْمَرْكَبَةِ عَلَى الثَّعْلَبِ بِيَدِهِ ، فِي حَيْطَةٍ وَحَذَرٍ .

ظَلَّ السَّائِقُ يُطَوِّحُ بِالثَّعْلَبِ فِي الْفَضاءِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

لَمْ يَتَحَرَّكِ الثَّعْلَبُ أَقَلَّ حَرَكَةٍ .

اِطْمَأَنَّ السَّائِقُ إِلَى أَنَّ الثَّعْلَبَ لَيْسَ حَيًّا . قَذَفَ بِهِ إِلَى الْمَرْكَبَةِ . ساقَ الْمَرْكَبَةَ ، وَهُوَ فَرْحانُ مُبْتَهِجٌ بِما صَنَعَ .

رَفَعَ الثَّعْلَبُ رَأْسَهُ قَلِيلًا . رَأَى السَّائِقَ مُنْهَمِكًا فِي السِّياقَةِ ، يَحُثُّ الْحِصانَ عَلَى الْإِسْراعِ فِي السَّيْرِ .

السَّائِقُ مُوَلٍّ ظَهْرَهُ لِلْمَرْكَبَةِ ، لا يُبْصِرُ ما وَراءَهُ .

الثَّعْلَبُ أَصْبَحَ الْآنَ واثِقًا أَنَّ السَّائِقَ لَنْ يَراهُ .

الثَّعْلَبُ أَقْبَلَ عَلَى السَّمَكِ ، يَأْكُلُ مِنْهُ ما شاءَ .

أَكَلَ الثَّعْلَبُ حَتَّى شَبِعَ . لَمْ يَكْتَفِ بِما أَكَلَ .

ظَلَّ يَقْذِفُ بِالسَّمَكِ فِي الطَّرِيقِ ، سَمَكَةً بَعْدَ أُخْرَى .

لَمْ يَفْتُرِ الثَّعْلَبُ عَنْ عَمَلِهِ فِي إِلْقاءِ السَّمَكِ .

صارَ السَّمَكُ ـ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ ـ كَأَنَّهُ حَبْلٌ طَوِيلٌ .

٦ — ثَمَرَةُ الرَّأْيِ الصَّائِبِ

الثَّعْلَبُ « أَبُو أَيُّوبَ » كَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ :

« لَقَدْ أَلْقَيْتُ فِي الطَّرِيقِ مِائَةَ سَمَكَةٍ . هٰذَا مِقْدَارٌ كَبِيرٌ .

سَيَكْفِينِي وَقْتًا طَوِيلًا . أَنَا الْآنَ لا أَحْمِلُ هَمَّ الطَّعَامِ » .

وَثَبَ الثَّعْلَبُ مِنَ الْمَرْكَبَةِ ، وَذَهَبَ إِلَى مَنْهَلِ الْمَاءِ ،

لِيَشْرَبَ ، بَعْدَ أَنِ امْتَلَأَ مِنَ الطَّعَامِ .

كَانَ يُفَكِّرُ فِي صَوَابِ رَأْيِهِ ، حِينَ قَرَّرَ أَلَّا يُحَالِفَ

الْأَسَدَ « أَبَا فِرَاسٍ » الظَّالِمَ الْغَاشِمَ .

لَوْ أَنَّ الْأَسَدَ صَاحَبَهُ — هٰذَا الْيَوْمَ — لَمَا اسْتَطَاعَ

أَنْ يَهْنَأَ بِلَحْمِ السَّمَكِ الطَّرِيِّ الطَّيِّبِ .

لَنْ يُحَالِفَ — يَوْمًا مَا — أَحَدًا مِنْ ذَوِي الْبَطْشِ وَالطُّغْيَانِ .

سَيَظَلُّ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ . يَنْشُدُ مَصْلَحَتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ :

لا يُصَادِقُ إِلَّا مَنْ يُصَادِقُهُ بِوَفَاءٍ وَأَمَانَةٍ وَإِخْلاصٍ ، وَلا يُعَاهِدُ

إِلَّا مَنْ يُعَامِلُهُ مُعَامَلَةَ النِّدِّ لِلنِّدِّ ، لا مُعَامَلَةَ السَّيِّدِ لِلْعَبْدِ .

١٠ — سُخْرِيَةُ «أَبِى أَيُّوبَ»

قالَ لَها الثَّعلَبُ ، وَهُوَ مُبْتَهِجٌ بِنَجاحِ حِيلَتِهِ :

«أَواثِقَةٌ أَنْتِ ـ يا «أُمَّ عامِرٍ» ـ أَنَّكِ رَقَدْتِ ساكِنَةً ، فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ ، دُونَ أَنْ تَتَحَرَّكِي أَقَلَّ حَرَكَةٍ ؟ »

فَقالَتْ لَهُ الضَّبُعُ : « لَيْسَ فِي هٰـــذا أَقَلُّ شَكٍّ : تَعَرَّضْتُ لِلْمَرْكَبَةِ ، وَأَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ ، وَلَمْ أَتَحَرَّكْ . »

تَظاهَرَ « أَبُو أَيُّوبَ » بِالْعَطْفِ عَلَيْها ، وَالتَّوَجُّعِ لَها . قالَ لَها ، وَهُوَ يُخْفِي فِي نَفْسِهِ السُّخْرِيَةَ مِنْها :

« لَعَلَّ السَّائِقَ لَمْ يَرَ فِي جِلْدِكِ ما يُغْرِى بِاقْتِنائِهِ ! إِذا صَحَّ هٰذا ـ وَهُوَ صَحِيحٌ ـ فَلَيْسَ هٰذا خَطَأَكِ .إِنَّهُ سُوءُ حَظِّكِ ، أَوْقَعَكِ فِي وَرْطَةٍ ، وَقادَكِ إِلَى خاتِمَةٍ مُحْزِنَةٍ ! »

قالَتْ لَهُ الضَّبُعُ وَعَيْناها تَذْرِفانِ الدُّمُوعَ :

« مِنْ سُوءِ حَظِّى ـ يا « أَبا أَيُّوبَ » ـ أَنْ أَكُونَ قَبِيحَةَ الشَّـكْلِ ، لَيْسَ لِي — مِثْلَكَ — جِلْدٌ ثَمِينٌ ! »

قالَ لَها الثَّعْلَبُ هازِئًا : « لَيْسَتْ دَمامَةُ الْخِلْقَةِ ، وَقُبْحُ الصُّورَةِ ، عَيْبًا يَضِيرُ كائِنًا كانَ ، مِنْ حَيَوانٍ أَوْ إِنْسانٍ .

لَيْسَ جَمالُ الشَّكْلِ ، وَحُسْنُ الصُّورَةِ ، هُوَ ٱلْمَزِيَّةَ ٱلْوَحِيدَةَ ؛ فَإِنَّ هُناكَ ٱلْكَثِيرَ مِنَ ٱلْمَزايا الَّتِي تُعَوِّضُ عَنِ ٱلْحُسْنِ وَٱلْجَمالِ . هُناكَ قُوَّةُ التَّفْكِيرِ ، وَحُسْنُ التَّدْبِيرِ .

لٰكِنِ الْعَيْبُ - كُلُّ ٱلْعَيْبِ - أَنْ تَكُونِي - يا أُمَّ عامِرٍ - غَبِيَّةً حَمْقاءَ ، تُصَدِّقِينَ كُلَّ ما يُقالُ لَكِ ، وَلا تَتَدَبَّرِينَ عَواقِبَ الْأُمُورِ ! »

عادَ الثَّعْلَبُ « أَبُو أَيُّوبَ » إِلَى سَمَكِهِ ، يَجْمَعُهُ لِيَأْكُلَهُ .

تَرَكَ الضَّبُعَ « أُمَّ عامِرٍ » مَشْغُولَةً بِما تُعانِيهِ مِنْ آلامٍ .

ظَلَّتِ الضَّبُعُ — لِغَباوَتِها — حائِرَةً فِي أَمْرِها ، لا تَدْرِي حَقِيقَةَ الثَّعْلَبِ : « أَبِي أَيُّوبَ » :

هَلْ هُوَ مُخْلِصٌ فِي نُصْحِهِ ، صَدِيقٌ أَمِينٌ ؟
أَوْ هُوَ مُخادِعٌ سَيِّءُ النِّيَّةِ ، عَدُوٌّ مُبِينٌ ؟

تمت القصة

٧ — السَّمَكُ الْمَنْهُوبُ

رَجَعَ « أَبُو أَيُّوبَ » مِنَ الْمَنْهَلِ ، بَعْدَ أَنْ شَرِبَ حَتَّى ارْتَوى ... أَبْصَرَ ضَبُعًا فِي الطَّرِيقِ ، تَنْتَهِبُ السَّمَكَ وَتَلْتَهِمُهُ . لَمْ يَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى عُدْوانِ الضَّبُعِ عَلَى سَمَكِهِ .

قالَ غاضِبًا صائِحًا : « لِماذا اعْتَدَيْتِ عَلَى سَمَكِي ، يا أُمَّ عامِرٍ ؟ إِنَّهُ صَيْدِي لِي أَنا وَحْدِي . لَيْسَ لَكِ فِيهِ حَقٌّ . »

اِشْتَدَّ عَجَبُ الضَّبُعِ « أُمِّ عامِرٍ » مِمَّا قالَ الثَّعْلَبُ .

اِلْتَفَتَتْ إِلَيْهِ قائِلَةً : « إِنِّي لَمْ أَنْتَهِبْ مِنْكَ شَيْئًا .

هٰذا سَمَكٌ سَقَطَ مِنْ مَرْكَبَةٍ سائِرَةٍ . إِنَّهُ حَقٌّ لِكُلِّ مَنْ يَجِدُهُ فِي طَرِيقِهِ . أَتُراكَ اصْطَدْتَهُ مِنَ الْماءِ بِنَفْسِكَ ؟ »

اِشْتَدَّ غَضَبُ الثَّعْلَبِ : « أَبِي أَيُّوبَ » عَلَى صاحِبَتِهِ الضَّبُعِ : « أُمِّ عامِرٍ » ، وَحَنِقَ عَلَيْها أَشَدَّ الْحَنَقِ .

لَمْ يَسْتَمِرَّ فِي مُناقَشَتِها وَمُجادَلَتِها .

آمَنَ بِأَنَّ الْمُناقَشَةَ لا تَنْفَعُ ، وَالْمُجادَلَةَ لا تُجْدِي .

فَكَّرَ الثَّعْلَبُ فِي حِيلَةٍ يَنالُ بِها غَرَضَهُ ..

فَكَّرَ : كَيْفَ تَتْرُكُ لَهُ الضَّبُعُ سَمَكَهُ ، وَلا تُنازِعُهُ فِيهِ ؟!

قالَ لِلضَّبُعِ «أُمِّ عامِرٍ» : « أَنا لا أَبْخَلُ عَلَيْكِ بِسَمَكٍ تَأْكُلِينَهُ - وَإِنْ كانَ لِي - وَلٰكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَأْكُلِي طَعامًا مِنْ كَسْبِكِ ، وَمِنْ ثَمَرَةِ جُهْدِكِ . »

قالَتْ لَهُ مَخْدُوعَةً بِكَلامِهِ : « وَبِماذا تَنْصَحُ لِي ؟ »

أَجابَها فِي صَوْتٍ هادِئٍ : « تَنْتَظِرِينَ حَتَّى تَمُرَّ بِكِ مَرْكَبَةُ سَمَكٍ ، فَتَطْرَحِي جَسَدَكِ فِي طَرِيقِها ؛ فَيَحْمِلَكِ السَّائِقُ إِلَى الْمَرْكَبَةِ ، فَتَأْكُلِي مِنَ السَّمَكِ ما لَذَّ وَطابَ ، وَتَفْرُشِي طَرِيقَكِ مِنْهُ بِما تَشائِينَ . »

فَرِحَتِ الضَّبُعُ بِما سَمِعَتْهُ مِنْ « أَبِي أَيُّوبَ » ، وَاقْتَنَعَتْ بِالْحِيلَةِ الَّتِي عَلَّمَها إِيَّاها . وَقالَتْ لَهُ :

« سَأَعْمَلُ بِنُصْحِكَ ، وَإِنِّي شاكِرَةٌ لَكَ حُسْنَ رَأْيِكَ .

لٰكِنْ أَخْبِرْنِي : هَلْ فَعَلْتَ أَنْتَ ذٰلِكَ ؟ »

ظَلَّ يَلْكُمُها ، مُهْتاجًا ناقِمًا ، وَيَصْرُخُ فِي غَضَبٍ وَحَنَقٍ :

« اِنْهَضِي ، أَيَّتُها الدَّابَّةُ الْقَذِرَةُ الْمِكْسالُ .

اِذْهَبِي إِلَى حَيْثُ لا تَقَعُ عَلَيْكِ عَيْناىَ ! »

أَلْهَبَ جِسْمَها بِعُودٍ غَلِيظٍ مِنْ أَعْوادِ الشَّجَرِ !..

لَمْ تُطِقِ الضَّبُعُ صَبْرًا عَلَى احْتِمالِ الضَّرْبِ الْمُبَرِّحِ .

اِضْطُرَّتْ أَنْ تَفْتَحَ عَيْنَيْها ، وَتَجْرِيَ هارِبَةً .

سارَتْ - فِي طَرِيقِها - تَعْوِي مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ .

كانَ الثَّعْلَبُ الْمَكَّارُ يَعْلَمُ أَنَّ الضَّبُعَ : « أُمَّ عامِرٍ »

سَيُصِيبُها الْأَذَى مِنَ السَّائِقِ .

أَسْرَعَ إِلَى طَرِيقِ « أُمِّ عامِرٍ » يَتَبَيَّنُ ما حَدَثَ لَها ،

بَعْدَ أَنِ اسْتَلْقَتْ فِي طَرِيقِ الْمَرْكَبَةِ .

سَأَلَها الثَّعْلَبُ الْمَكَّارُ : ماذا حَدَثَ ؟

قَصَّتْ عَلَيْهِ « أُمُّ عامِرٍ » الْحادِثَ الْمَشْئُومَ .

قالَتْ لَهُ : « هٰكَذا كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أُضْرَبَ ، حَتَّى أُشْرِفَ

عَلَى التَّلَفِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ أَظْفَرَ بِسَمَكَةٍ واحِدَةٍ . »

صاحِبُ العَرَبَةِ يَرْكُلُ الضَّبُعَ

الثَّعْلَبُ يَسْخَرُ مِنَ الضَّبُعِ

(يُجاب - مِمَّا فى هٰذِهِ الحكاية - عن الأسئلة الآتية) :

١ ـ بماذا اتَّصف الأسدُ « أبو فِراسٍ » ؟

وبماذا اتَّصف الثعلبُ « أبو أيُّوبَ » ؟

٢ ـ ماذا اصْطاد الثعلبُ ؟

وكيف كانت قِسْمةُ الصيْدِ بين الأسد وبيْنه ؟

٣ ـ ماذا تعلَّم الثعلبُ من تجرِبَتِه مع الأسدِ ؟ وعلى أىِّ شىء اعْتزَم ؟

٤ ـ أين ذهب الثعلبُ ؟ وماذا رأى فى طريقه ؟

وماذا حاوَل ؟ ولماذا أخْفقت مُحاولَتُه مرَّةً بعد مرةٍ ؟

٥ ـ ما هى حيلةُ الثعلبِ ليكونَ فى المرْكَبةِ الثانيةِ ؟

وماذا فعل وهو فوْقَ المَرْكَبةِ ؟ ولماذا كان فرَحُه ؟

٦ ـ أين ذهب الثعلبُ ، بعد أن ظفِرَ بما ظفِر به ؟

٧ ـ ماذا دار من مُناقشةٍ بين الثعلبِ والضَّبُع ؟

٨ ـ بماذا نصَح الثعلبُ «أبوأيُّوبَ» للضَّبُعِ «أمِّ عامرٍ» أن تفْعلَه ؟

٩ ـ ماذا دار بيْن الثعلْبِ والضَّبُعِ بعد ما حدث ؟

وفى أىِّ شىء كان لوْمُ الثعلبِ لها ؟

١٠ ـ ماذا دار بيْن الثعلْبِ والضَّبُعِ بعد ما حدث ؟

وفى أىِّ شىء كان لوْمُ الثعلبِ لها ؟

(رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٩١٢٧)

أَساطِيرُ إِفْرِيقِيَّة
كامل كيلاني
الصيّاد والعنكبة
لُؤلؤة الصّباح
مغامرات ثعلب
الأسد الطائر
جدُّ القرود
مطبعة الكيلاني بالقاهرة
٢٢ شارع غيط العدة - باب الخلق